صدى العلوم

متخصصة بالبحوث العلمية المحكمة

ترخيص رقم 2022/244

مجلة فصليّة مؤقّتًا، متخصّصة بالآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة

الرقم التسلسلي المعياري الدولي لتعريف المطبوعات: ISSN 2959-9423

السنة الثانية | 2025

كانون الثاني | 2025

العدد 7

■ المنهجية العلمية في تقديم الخدمات الإرشادية والدعم النفسي-اجتماعيأثناء الحروب والأحداث الطارئة / أ.د. سحر حجازي

■ الزواج المختلط بين مختلفي الدين في المجتمع اللبناني / أ.م.د. تيريز سيف

■ الواقع التنموي لقرية «غوما» اللبنانية / أ.م.د. تيريز سيف

■ الخير والشر في الفكر الديني والفلسفي القديم / غازي شمص شمص

■ دور التّعليم المونتيسوري في معالجة الصّعوبات التّعلّميّة لدى الأطفال / مريم علي عجمي

■ مكانة بيت المقدس في القرآن الكريم / محمد حسين كاظم مونس

■ التّعليم الدّينيّ في المدارس ذات الطّابع الدّينيّ وعلاقته بالتّطرّف المذهبيّ في لبنان / محمّد حسن بزّي

■ Le «divorce» entre le sacré et le profane chez les chrétiens de rite Maronite: Approche anthropologique / Dr. Thérèse Seif

المحتويات

11 دعوة إلى الاستيقاظ والانتباه — د. حسن محمد إبراهيم

14 المنهجية العلمية في تقديم الخدمات الإرشادية والدعم النفس-اجتماعيأثناء الحروب والأحداث الطارئة — أ.د. سحر حجازي

55 الزواج المختلط بين مختلفي الدين في المجتمع اللبناني — أ.م.د. تيريز سيف

82 الواقع التنموي لقرية «غوما» اللبنانية — أ.م.د. تيريز سيف

112 الخير والشر في الفكر الديني والفلسفي القديم — غازي شمص شمص

139 دور التّعليم المونتيسوري في معالجة الصّعوبات التّعلّميّة لدى الأطفال — مريم علي عجمي

185 مكانة بيت المقدس في القرآن الكريم — محمد حسين كاظم مونس

212 التّعليم الدّينيّ في المدارس ذات الطّابع الدّينيّ وعلاقته بالتّطرّف المذهبيّ في لبنان — محمّد حسن بزّي

287 Le «divorce» entre le sacré et le profane chez les chrétiens de rite Maronite: Approche anthropologique — Dr. Thérèse Seif

التّعليم الدّينيّ في المدارس ذات الطّابع الدّينيّ وعلاقته بالتّطرّف المذهبيّ في لبنان

محمّد حسن بزّي[1]

الملخّص

تكشف الدّراسة الآثار النّاتجة عن التّعليم الدّينيّ في المدرسة، وتهدف إلى تقويم مستوى تعزيزها لقبول الآخر المختلف دينيًّا والانفتاح لدى الطّلّاب، وتبيين دور المعلّم في تنمية الاتّجاهات الفكريّة لدى المتعلّمين بفِعل الأسلوب المعتمد في التّوجيه داخل الصّفوف؛ إضافة إلى تقصّي مخرجات التّعليم الدّينيّ لدى الطّلّاب ورصد المؤشّرات الدّالّة على التّطرّف الفكريّ والمذهبيّ في سلوكهم. اعتمد العمل البحثيّ على المنهج الوصفّي التّحليليّ المقارِن والمنهج الكمّيّ بفضل تقنيّة الاستمارة الإلكترونيّة الموجّهة للطّلّاب، وتقنيّة المقابلة غير الموجّهة؛ إذ استهدف معلّمي مادّة التّربية الدّينيّة وطلّاب المرحلة الثانويّة في أربع مدارس ذات خلفيّة دينيّة.

خرج البحث بنتائج لافتة حول كتب التّربية الدّينيّة المعتمدة في المدارس الأربعة، فهي بالرّغم من مضمونها السّليم البعيد من التّطرّف؛ غير أنّها لا تضمن عدم انجرار الطّلاب وجنوحهم نحو التّطرّف الفكري والمذهبيّ؛ بل يجب أن يتشارك مع بعض

(1) طالب في مرحلة الدكتوراه في علم الاجتماع، جامعة القدّيس يوسف، لبنان.

الآليّات المتّبعة في المدرسة والأسرة في سبيل تحقيق ذلك. إضافة إلى دور معلّم التربية الدّينيّة في توجيه الطّلّاب نحو قيم الانفتاح والتّسامح ونبذ التّطرّف عبر الاستراتيجيّات التي يعتمدها خلال الحصّة التّعليميّة، والتي تسهم في تفعيل مهارات التّفكير النّاقد لديهم، وتقدير التّنوّع الدّينيّ من حولهم؛ إذ إنّ غياب الدّور المنوط بالمعلّم واستخدامه لعبارات متطرّفة تجاه الأديان والمذاهب الأخرى يؤدّي إلى تعزيز نزعة التّطرّف الفكريّ والمذهبيّ لدى الطّلّاب.

كلمات مفتاحيّة: التّعليم الدّينيّ، الدّين، التّطرّف، الانفتاح، المدرسة.

Abstract

The study reveals the effects resulting from religious education in schools and aims to evaluate the extent to which it promotes acceptance of religious diversity and openness among students. It also clarifies the role of teachers in developing intellectual attitudes in learners through the methods used in classroom guidance. Additionally, it investigates the outcomes of religious education among students and notes the indicators of ideological and sectarian extremism in their behavior. The research relied on a descriptive-analytical approach and a quantitative method through the use of an electronic questionnaire directed at students, as well as unstructured interviews. It targeted religious education teachers and high school students in four schools with a religious background.

The research yielded notable results regarding the religious education books used in the four schools. Despite their sound content, which is free from extremism, they do not guarantee that students will not be drawn towards ideological and sectarian extremism. It is essential to combine these materials with certain mechanisms implemented in both the school and the family to achieve this aim. Additionally, the role of the religious education teacher is crucial in guiding students towards values of openness, tolerance, and the rejection of extremism through the strategies employed during educational sessions. These strategies contribute to enhancing critical thinking skills among students and appreciating the religious diversity around

them. The absence of the teacher's role and the use of extremist expressions towards other religions and sects contribute to reinforcing tendencies towards ideological and sectarian extremism among students.

Keywords: Religious education, religion, extremism, openness, school.

المقدّمة

منذ فجر التّاريخ، شكّل الدّين قاعدة ثابتة في المجتمعات البشريّة على اختلافها شكلًا ونوعًا؛ لأنّها تسعى إلى نقل الدّين والتّراث والموروثات إلى أجيالها المتعاقبة بهدف ضمان سيطرتها واستمراريّتها لأجل ترسيخ الهويّة والثّقافة. وقد انتهجت لذلك مسلكًا تربويًّا متعدّد الأشكال والاتّجاهات؛ فالدّين يضع أسس التّعامل الاجتماعيّ بين الأفراد، وهي تتمثّل في أقوال الأفراد وأفعالهم ومواقفهم عبر سلوكهم الجمعيّ. كما أنّ له وظيفة اجتماعيّة تطرّق لها عالم الاجتماع الألمانيّ «ماكس فيبر» في كتابه «**الأخلاق البروتستنتيّة وروح الرّأسماليّة**»، فأكّد قدرة الدّين العظيمة في التّغيير والصّراع الاجتماعيّ، فهو بتنظيماته يدخل في علاقة كلّيّة لتحديد أشكال الفعل الاجتماعيّ واتّجاهاته في الأنشطة الإنسانيّة؛ كذلك له سلطة روحيّة لا يضاهيها نفوذ سلطة أخرى في المجتمعات الإنسانيّة باختلافها.

بحسب «فيبر»، أيضًا، يمكن للدّين أن يكون حافزًا خلاّقًا للعمل والإنتاج؛ وهذا ما توصّل إليه بعد تفسيره للأثر النّاتج عن البروتستانتيّة والقراءة الكالفينيّة للكتاب المقدّس، كما أشارعالم الاجتماع الفرنسيّ «إيميل دوركهايم» في كتابه «**الأشكال الأوليّة للحياة الدّينيّة**» إلى وظيفة الدّين التي تتلخّص بوظيفة المقدّس في قدرته على استحضار الخشوع والخضوع، والذي بدوره يتضمّن قوّة ملزمة فوق سلوك الفرد، ولها فعاليّة في تعضيد القيم الأخلاقيّة عند أعضاء المجتمع.

لذلك نجد أن الدّين على علاقة وثيقة بالقِيَم التي تؤسّس المجتمعات؛ فهو كونه مكوّنًا مهمًّا من مكوّنات البناء الفوقيّ للمجتمعات- بما يحوي من تعاليم وإرشادات

وأحكام وثقافة- يصبح عنصرًا مشاركًا بفعّاليّة في صنع عالم الفكر والسّلوك لأيّ حضارة من الحضارات الإنسانيّة، وبالنّتيجة فإنّ الوظيفة التّربويّة له على جانب كبير من الأهمّيّة، لما لها من دور في تشكيل الاتّجاهات وبناء المواقف وتوجيه السّلوك.

انطلاقًا من تلك الحقيقة، شجّع الدّين على التّعلّم، فحرص دعاته باختلاف زمانهم ومكانهم على تعليم النّاس، إذ باشروا بتنظيم حلقات العلم ووفّروا لها ما تيسّر من احتياجاتها، حتّى بات التّعليم الدّينيّ من أبرز العوامل التي ساعدت في تعليم النّاس القراءة والكتابة، فضلًا عن المعارف والتّعاليم الدّينيّة. ومن الأسس التي يستند إليها التّعليم الدّينيّ المنشود تبيين تاريخيّة الظّواهر الدّينيّة بصفة عامّة، وهو ما يمكن إنجازه من خلال دراسة جميع أشكال الإنتاج الدّينيّ؛ خاصّة في ما يتعلّق بصور التّديّن؛ أي كيفيّة ممارسة الدّين في الواقع التّاريخيّ وارتباطه بحياة الإنسان الدّينيّ وبشؤون تعبّده وممارسته للطّقوس الدّينيّة وآثارها.

الإشكاليّة

يتمحور التّعليم الدّينيّ المعتمد في المدارس اللّبنانيّة حول منهاج خاصّ يرتكز إلى المفاهيم والتّعاليم الدّينيّة، وهو يسهم في تشكيل الجانب الدّينيّ في شخصيّة الطّالب، ويساعده على اكتساب المعتقدات والاتّجاهات السّلوكيّة الأخلاقيّة التي سينتهجها في حياته الاجتماعيّة بانضباط، وفقًا للمبادئ والمعايير القيميّة والدّينيّة التي تسهم في استقرار المجتمع وارتقائه. وهو أحد أهمّ أركان التّربية الدّينيّة الذي يسمح للطّلّاب بالتّعرّف على هويّتهم الدّينيّة بشكل ممنهج، ليكتسبوا التّعاليم الدّينيّة التي توجّه سلوكهم في الحياة المجتمعيّة؛ أمّا في مجتمع تعدّديّ قائم على أساس دينيّ مثل لبنان، فتتعدّد الأطر المرجعيّة لمناهج التّعليم الدّينيّ، إذ يحاول كلٌّ منها تأكيد الهويّة الدّينيّة بحسب المنتمين لكلّ دين.

من هنا تبرز الإشكاليّة الكبرى، بما أنَّ التّعليم الدّينيّ المعتمد في المدارس اللّبنانيّة

يقوم على منهج دينيّ خالص يستند إلى مفاهيم دينيّة تؤكّد الذّات والهويّة الدّينيّة والمذهبيّة؛ فهل يؤدّي بذلك إلى المحبّة والتّسامح أم إلى التّطرّف والقوقعة؟

لذلك؛ يعتمد البحث معاينة المناهج التّعليمية الدّينيّة في أربع مدارس متنوّعة الطّوائف والمذاهب بصفة نموذج مصغّر؛ إذ إنّ لبنان يشتمل على **(18)** طائفةً ومذهبًا دينيًّا؛ إضافة إلى رصد المؤشّرات الدّالّة على التّطرّف المذهبيّ فيها ومستوى تأثيرها في الطّلّاب.

عيّنة الدّراسة

اخترنا عيّنة عشوائيّة قوامها **(160)** طالبًا من المرحلة الثّانويّة كافّة؛ أي نحو **(40)** طالبًا من كلّ مدرسة، ممّن يتلقَّوْن التّعليم الدّينيّ أسبوعيًّا، وهي تضمّ ذكورًا وإناثًا. اخترنا هذه العيّنة لأسباب عدّة، إذ يصعب اتّخاذ مجتمع البحث بأكمله للدّراسة نحو **(550)** طالبًا، وذلك لعدم رغبة عدد كبير في تعبئة الاستمارة. إضافةً إلى الميزة التي تتمتّع بها العيّنة العشوائيّة البسيطة الممنهجة، كونها تعطي وصفًا دقيقًا للمجتمع باختيار أقلّ عدد ممكن من المفردات وفقًا لطرائق علميّة محدّدة بما يضمن صحّة التّمثيل؛ خاصّة عندما يكون مجموع خصائص العيّنة مشابهة عن كثب لمجمل خصائص المجتمع المدروس (سارانتاكوس، 2017، صفحة 65)، كما هو الحال في هذه الدّراسة.

أمّا المستجوبين من المعلّمين فقد بلغ عددهم **(8)** أساتذة (**2** من كلّ مدرسة) من مختلف صفوف المرحلة الثّانويّة، وهم من الذين مارسوا التّعليم الدّينيّ في مدارسهم منذ أكثر من خمس سنوات، ويملكون مستوى متقدّمًا في ممارسة مهنة التّعليم بمختلف أبعادها، وقد اختيروا بوصفهم مشرفين على مناهج التّعليم الدّينيّ في مدارسهم. كذلك هم من المعنيّين بتأهيل المعلّمين الجدد في ما يخصّ التّربية الدّينيّة.

كما اخترنا المدارس الأربعة تبعًا لمعايير عدّة، فثانويّة المهدي تابعة للمؤسّسة

الإسلاميّة للتّربية والتّعليم التي ترتبط مباشرة بالبنية الإسلاميّة الشّيعيّة من خلال قِيمَها وأهدافها ورؤيتها ورسالتها، أيضًا؛ لأنّها تعطي للتّعليم الدّينيّ خصوصيّة تربويّة تَظهر بوضوح في أشكال العمليّة التّعليميّة وأساليبها (التعريف و الهدف، 2023، صفحة 88). كذلك الأمر في ما يخصّ مدرسة «saint Coeur» التّابعة للأمانة العامّة للمدارس الكاثوليكيّة في لبنان، والتي تعتني بالاتّجاهات الدّينيّة لدى الطّلّاب من خلال حصص التّعليم الدّينيّ والنّشاطات اليوميّة في المدرسة، وفي أيّ مناسبة خاصّة بالمسيحيّين الكاثوليكيّين (etablissement(vision et message), 2023, p. 105).

الأمر نفسه ينطبق على مدارس العرفان التّابعة للوقف الدّرزيّ، والتي تُعنى بنشر القيم الدّينيّة بين طلّابها من وجهة نظر خاصّة بالطّائفة الدّرزيّة (الرؤية و الرسالة و القيم، 2023، صفحة 97)؛ كما تتّخذ مدارس الإيمان التّابعة للطّائفة السّنيّة (جمعية التّربية الإسلاميّة) من التّعليم الدّينيّ منهجًا تتّخذه لتوجيه طلّابها نحو القيم الإسلاميّة عبر حصص التّعليم الدّينيّ أسبوعيًّا، وعبر النّشاطات المتعدّدة التي تنظّمها في المناسبات الإسلاميّة كلّها التي تعنيها مباشرة (الرّؤية و الرّسالة، 2023، صفحة 37). بناء على ذلك، إنّ المدارس الأربعة تمثّل التّوجّه الدّينيّ والأيديولوجيّ المنبثق من كلّ طائفة مباشرة.

1. مراحل نشأة التّعليم الدّينيّ في لبنان

كيف بدأ التّعليم الدّينيّ في لبنان، وما هي المراحل التي اجتازها حتّى وصل إلى ما هو عليه اليوم؟ فتاريخ لبنان الحديث مرّ بالعديد من المحطّات السّياسيّة التي كان لكلٍّ منها صبغتها الخاصّة على العلم والتّعليم في البلاد.

1.1. التّعليم الدّينيّ في ظلّ السلطنة العثمانيّة

في آب 1516م، هَزَم العثمانيّون، بقيادة السّلطان سليم الأوّل المعروف بـ«القانوني»، المماليكَ في معركه مرج دابق بالقرب من حلب في سوريا، ثمّ سيطرت القوّات

العثمانيّة على المناطق الجغرافيّة الممتدّة من شمال إيران شرقًا وصولًا إلى سواحل البحر المتوسّط، بالإضافة إلى أجزاء من أوروبا الشّرقيّة؛ حيث قَسَّمت المناطق الواقعة تحت سيطرتها مجموعةً من الولايات.

لبنان بشكله الحاليّ لم يكن وحدة إداريّـة مستقلّة؛ بل كان جزءًا من مجموعة ولايات، على غرار ولاية صيدا وطرابلس ودمشق وصولًا إلى قيام متصرفيّة جبل لبنان، من ثمّ جرى تثبيت بيروت بصفة ولاية مستقلّة (الصّليبي، 1991، صفحة 233). وقد ارتبط التّعليم في لبنان آنذاك باستراتيجيّة التّعليم المعتمدة لدى الدّولة العثمانيّة، التي كانت خارج الإطار الوظيفيّ الخاصّ بمؤسّسات الدّولة، إذ ارتبطت التّربية بالتّوجيه الدّينيّ الخاصّ بالطّوائف؛ لأنّ التّعليم حينها كان مرتبطًا بالدّين في معظم الدّول؛ حيث شكّل التّعليم الدّينيّ ركنًا أساسيًّا في المجال التّربويّ التّعليميّ.

في المرحلة التي سبقت القرن التّاسع عشر، كانت مركزيّة التّربية والتّعليم في الدّولة العثمانيّة ترتبط بالمفتي الشّرعيّ السّنيّ كون الطّائفة السّنّيّة طائفة الدّولة الرّسميّة آنذاك، وقد كانت المراكز الدّينيّة مثل المساجد والكنائس بمنزلة الإطار الحاضن للتّعليم، وكان رجل الدّين بمنزلة المعلّم؛ إذ إنّ غايّة التّعليم آنذاك كان تعلّم مبادئ الدّين والقرآن في ظلّ ما يُسمّى الكتّاب.

كذلك في ما يرتبط بالطّوائف الإسلاميّة الأخرى، فتولّى رجال الدّين فيها تنظيم أمور التّربية والتّعليم. أمّا بخصوص الطّائفة الشّيعيّة، فجرى تأسيس ثلاث مدارس دينيّة، الأولى في جزّين في القرن الرّابع عشر على يد محمد بن مكّي الجزّيني المعروف «بالشّهيد الأول»، ومدرسة أخرى في قرية عيناثا الجنوبيّة، ومدرسة دينيّة ثالثة في قرية جباع (إحدى قرى إقليم التّفاح)، وقد أسّسها زين العابدين الجباعي المعروف «بالشّهيد الثّاني»، فكانت المواد الدّراسيّة ترتكز على تعليم القراءة والكتابة، إلى جانب تعلّم القرآن والإلمام بالأحكام الشّرعيّة وتطبيقها (كوثراني، 1989، صفحة 118).

في المقابل، في ما يرتبط التّعليم لدى الطّوائف المسيحيّة، ولأنّ الدّين بالنّسبة إلى نظام الدّولة العثمانيّة شأن داخليّ لكلّ طائفة، فقد سُمِح للمسيحيّين بتأسيس مدارسهم الدّينيّة؛ فعمل على تنظيمها مجموعة من رجال الدّين المسيحيّين المنتمين إلى الطّائفة المارونية تحديدًا، حتّى أوائل القرن التّاسع عشر، حين بدأت الإرساليّات الأجنبيّة بالقدوم إلى لبنان وتأسيس بعض المدارس فيه، مثل الإرساليّات الإنجيليّة والكاثوليكيّة التي اعتَمَدَت في مدارسها مناهج حديثة في التّعليم تضمّنت تنوّعًا في المواد التّعليميّة من قبيل الرّياضيات والتّاريخ والعلوم واللّغات الأجنبيّة (عماد، 2009، صفحة 69). لذلك؛ أدّت هذه المدارس دورًا كبيرًا في تحسين جودة التّعليم واتّساع رقعته الجغرافيّة؛ لكنّها أسهمت في ترسيخ الانتماء الطّائفيّ والارتباط بالدّول الأجنبيّة عن طريق الثّقافة واللّغة إضافةً للدّين.

إبّان تلك الحقبة، كان للمسلمين موقف حذر من تلك المدارس الإرساليّة؛ لأنّها كانت تُجبر التّلاميذ، ومنهم المسلمون، على دخول الكنيسة وممارسة شعائرها الدّينيّة؛ ما شكّل دافعًا لدى الطّائفة السّنيّة لافتتاح مدارس مماثلة في بيروت، مثل جمعيّة المقاصد الخيريّة التي أُسِّست في العام 1878م، التي اهتمّت بتعليم التّلامذة المسلمين خصوصًا (الخالدي، فرّوخ، 1975، صفحة 124).

في العام 1869م، صدر عن وزارة المعارف العثمانيّة أوّل قانون خاصّ بشؤون التّعليم؛ فأكّد إلزاميّته ومجّانيّته للمرحلة الإبتدائيّة؛ كذلك أكّد السّلطان عبد الحميد الثّاني آنذاك أهميّة التّعليم والثّقافة في المجتمع، إذ ورد في إعلان الدّستور في العام 1876م، أنّ التّعليم حرّ ومستقلّ، وأنّ كلّ من يقع تحت سلطة الدّولة العثمانيّة مرخّص له بالتّدريس العموميّ والخصوصيّ، تحت شرط مطابقته للقوانين الصّادرة عن وزارة المعارف العامّة.

فور إعلان هذا الدّستور عملت الدّولة العثمانيّة على إنشاء المدارس في العديد من الولايات والمتصرفيّات، ومنها بيروت وجبل لبنان؛ حيث كانت تلك المدارس

تابعة للدّولة وأُدرِج ضمن مسؤوليّاتها تعيين مدرّسي التّعليم الدّينيّ، وتحديد المناهج التّربويّة والدّينيّة (فرّوخ، 1948، صفحة 74). أمَّا المدارس الخاصّة فكانت كلّها مسيحيّة حتّى ذلك الوقت، إمّا للأجانب وإمّا للمسيحيّين اللّبنانيّين؛ حيث كانت أشدّ تنظيمًا من المدارس التّابعة للدّولة العثمانيّة.

تجدر الإشارة إلى أنَّ القانون الصّادر في العام 1869م، جاء ليكرّس تبعيّة التّعليم للطّوائف؛ فنجد أنّ المدارس التّابعة للدّولة العثمانيّة اعتمدت الطّابع الدّينيّ والمذهبيّ المرتبط بالطّائفة السّنيّة؛ في المقابل ارتبط التّعليم الأجنبيّ بالتّعاليم الدّينيّة المسيحيّة، ما أسهم في تعزيز الانتماء الطّائفيّ وتوجيه الوعي الاجتماعيّ للتّلامذة نحو أيديولوجيا محدّدة.

2.1. التّعليم الدّينيّ في ظل الانتداب الفرنسيّ

تبعًا لاتّفاقية «سايكس-بيكو» النّاتجة عن الحرب العالميّة الأولى، والتي كان من أبرز نتائجها سقوط السلطنة العثمانية، أجازت عصبة الأمم في العام 1920م، نظام الانتداب على المناطق العثمانيّة المتفكّكة بحجّة المساعدة في تطوير مؤسّسات هذه الدّول الجديدة؛ فكان لبنان من حصّة الفرنسيّين. وفي الأوّل من أيلول من العام 1920م أعلن الجنرال غورو قيام دولة لبنان الكبير بعد إعادة ترسيم الحدود بين البلاد التي كانت خاضعة لحكم الدّولة العثمانيّة.

لمّا كان الصّراع الطّائفيّ-السّياسيّ الباعث على الانقسام الوطنيّ في لبنان يطرح نفسه بأشكال متعدّدة، بَرَزَ أهمّها على الإطلاق ذلك المنبثق من تناقضات مجتمعيّة حول مفهوم الكيان اللّبنانيّ الشّامل لموقعه الجغرافيّ، وبين جماعاته المتصارعة سياسيًّا وثقافيًّا واجتماعيًّا وحتّى اقتصاديًّا؛ وقد تجسّد بالاختلافات البنيويّة للطّوائف في لبنان، فالمسلمون انقسموا إلى فريقين: الأوّل التحق بالأمير فيصل بما يمثّله من ثقل سياسيّ واجتماعيّ بين المسلمين، إذ كان مشروعه الأساسيّ قيام دولة عربيّة موحّدة، أمّا الفريق الآخر فسار في ركاب الدّولة السّوريّة الموحّدة.

الحال نفسه مع المسيحيّين؛ فمنهم من التحق في ركاب الدّولة العربيّة الموحّدة، وآخرون ممّن عانوا اضطّهاد العثمانيّين للمسيحيّين لجأوا إلى تحويل ذلك التّهديد إلى فرصة لتأسيس النّواة الأساسيّة لقيام دولة مسيحيّة في الشّرق (الرّبيعي، 2014، صفحة 271). نافلة القول إنّ إعلان تشكيل دولة لبنان الكبير شكّل مرحلة جديدة في تاريخ لبنان، التي ألقت بثقلها على مجمل المفاهيم الاجتماعيّة والثّقافيّة والسّياسيّة وكذلك التّربويّة فيه.

لاحقًا ومع صدور الدّستور اللّبنانيّ في 23 أيار1926م، جاء في المادّة العاشرة منه «أنّ التّعليم حرّ ولا يمكن أن يمسّ حقوق الطّوائف من جهة إنشاء مدارسهم الخاصّة، وذلك وفقًا للقوانين العامّة التي تصدرها الدولة فيما يرتبط بالمعارف العامّة»، بالإضافة للمادّة التّاسعة التي تنصّ على «حرّيّة الاعتقاد المطلقة وكذلك الدّولة بتأديتها فروض الإجلال لله تعالى حيث تحترم جميع الأديان والمذاهب وتكفل حرّيّة إقامة الشّعائر الدّينيّة تحت حمايتها...، وهي تضمن أيضًا للأهليّين على اختلاف مللهم احترام نظام الأحوال الشّخصيّة والمصالح الدّينيّة» (العلي، 2019، صفحة 76).

هكذا يكون الانتداب الفرنسيّ قد كرّس التّعليم الخاصّ في لبنان، لا سيّما التّعليم المسيحيّ؛ لأنّه في تلك المرحلة، كانت معظم المدارس الخاصّة تابعة للطّوائف المسيحيّة، بالإضافة إلى الإرساليّات الأجنبيّة التي كانت تُدرّس مادّة التّعليم الدّينيّ الخاصّة بالدّيانة المسيحيّة؛ ما زاد من حدّة الصّراع الطّائفي لوجود خلل في مبدأ التّكافؤ في المجال التّربويّ والتّعليمي للمسيحيّين على حساب المسلمين.

3.1. التّعليم الدّينيّ بعد الإستقلال

في 22 تشرين الثّاني 1943م، نال لبنان استقلاله عن فرنسا بعد **(23)** عامًا من الانتداب، تاركةً إياه يعاني تجاذبات وصراعات طائفيّة أفرزتها تلك الحقبة من الانقسامات الطّائفيّة والمذهبيّة، التي كانت ترعاها فرنسا مباشرة كونها طرفًا منحازًا

للطّائفة المارونيّة تحديدًا على حساب الطّوائف الأخرى، إذ تجسّد ذلك بإعطاء امتيازات سياسيّة وازنة للمسيحيّين عامةً وللموارنة خصوصًا، كما هو الحال، أيضًا، على المستوى التّربويّ والتّعليميّ.

نتيجة لتفاقم الصّراع المذهبيّ والطّائفيّ بعد الاستقلال، اتّجهت كلّ طائفة لإعادة تنظيم أركانها بهدف حماية نفسها من الطّوائف الأخرى؛ لذلك، كان من الطّبيعي أن يسعى هذا النّظام الجديد من خلال التّعليم إلى إعادة إنتاج الظّروف المادّيّة والأيديولوجيّة التي تؤمّن بقاءه واستمراريّته. وقد أكملت الطّوائف ما بدأه الانتداب الفرنسيّ لجهة ترسيخ الطّائفيّة والمذهبيّة بدعم إنشاء مدارس للطّوائف، واعترفت الدّولة الحديثة بحقّ كلّ طائفة في تعليم أبنائها، فأنشات نظامًا تعليميًّا قائمًا على التّعدّديّة التّعليميّة في المناهج، فأصبحت الدّولة بكيانها الرّسميّ الحلقة الأضعف على الدّوام في وجه الجماعات الطّائفيّة (قبيسي، 1999، صفحة 98).

هذا وقد شهد القطاع التّعليميّ الرّسميّ نهوضًا ملحوظًا بعد الاستقلال، إذ بلغ عدد المدارس الرّسميّة مع نهاية العام 1947م ما يقارب **(632)** مدرسة، واستمّر بالارتفاع بشكل متسارع حتّى وصل في نهاية العام 1957م إلى ما يزيد عن **(1030)** مدرسة. والجدير بالذّكر أنّ هذه المدارس لم تشكّل البديل المنتظر للمدارس الخاصّة؛ بل جاءت لتسدّ بعض الثّغرات داخل النّظام التّربويّ، أمّا في ما يتعلّق بالمدارس الخاصّة فبلغ عددها مع بداية عهد الاستقلال ما يقارب **(1279)** مدرسة؛ لكنّ هذا العدد شهد تراجعًا ملحوظًا خلال العشر سنوات الأولى بُعيد الاستقلال، ليصبح عددها **(953)** مدرسة، وبالرّغم من ذلك، تفوّق عدد التّلامذة المنتسبين إلى المدارس الخاصّة بنسبه **(60%)** من عدد التّلامذة الإجماليّ، وبقيت هذه النّسبة متفاوتة إلى يومنا هذا مع أفضليّة مطلقة للمدارس الخاصّة (قبيسي، 1999، صفحة 100).

4.1. التّعليم الدّينيّ بعد اتّفاق الطّائف

في 22 تشرين الأوّل 1989م وضعت الحرب الأهليّة اللّبنانيّة أوزارها بعد أكثر من **(15)** عامًا من الاقتتال الدّامي الذي فتك بالحجر والبشر، وذلك بعد أن اجتمعت الأطراف المتنازعة في مدينة الطّائف في المملكة العربيّة السعوديّة؛ حيث جرى التّفاوض على إنهاء الحرب والدّخول في مرحلة جديدة من التّسوية السّياسيّة، من خلال وثيقة الوفاق الوطنيّ في ما يُسمّى «باتّفاق الطّائف». وقد جرى في مضمونها تأكيد مجموعة من الإصلاحات في النّظام السّياسيّ اللّبنانيّ، ونصّت الفقرة «ب» منها على ضرورة الانسجام بين الدّين والدّولة، لا سيّما في ما يرتبط بحريّة ممارسة الشّعائر الدّينيّة وحريّة التّعليم الدّينيّ للطّوائف.

في هذا الإطار ظهرت بعض الاتّجاهات التي تطالب بضرورة فصل كلّ ما له علاقة بالدّين عن الحياة السّياسيّة والاجتماعيّة والتّربويّة، وذلك تبعًا لارتباط العامل الدّينيّ والطّائفيّ بالأسباب الكامنة وراء اندلاع الحرب الأهليّة، إضافةً إلى أسباب خارجيّة أخرى. وفضلًا عن ذلك، ذهب فريق آخر من اللبنانيّين لتثبيت الدّور الإيجابيّ للأديان السّماويّة في حياة الأفراد والجماعات، عبر التّمييز بين مفهوم الطّائفيّة بدلالاتها السّلبيّة مثل العصبيّة والتّطرّف، وتلك الإيجابيّة مثل القيم الإنسانيّة التي تحملها الرّسالات السّماويّة، والتي تنعكس إيجابًا في المجالات المجتمعيّة كلّها. ولمّا كان لبنان بصيغته الفريدة المتمثّلة بفسيفساء الطّوائف والمذاهب، كان لابدَّ من الإفادة من هذا الغنى القيميّ، وذلك بلحظ الأبعاد الإنسانيّة والرّوحيّة من دون التّخلّي عن الأديان وإبعادها قسرًا من الواقع العام (علويّة، 1998، صفحة 128).

يُذكَر من الأمور التي أكّدتها وثيقة الطّائف ضرورة وضع خطّة متكاملة للنّهوض التّربويّ؛ وفي العام 1994م، أعلن المركز التّربوي للبحوث والإنماء عن إكماله للمسوّدة النّهائيّة للخطّة التّربويّة، التي تتضمن مجموعة من الإصلاحات الجذريّة في بنية النّظام التّربويّ اللّبنانيّ ما بعد الاستقلال. والجدير بالذّكر أنّ هذه الخطّة لم تُعطِ التّربية الدّينيّة

الاهتمام الكافي، إذ إنَّ الهيكليّة الجديدة خلت من أيّ نصّ يؤكّد إلزاميّة التّعليم الدّينيّ في المدارس الرّسميّة، إضافةً إلى غياب الجدول الخاصّ بتوزيع حصص التّعليم الدّينيّ أسوةً ببقيّة المواد التّعليميّة؛ ما أثار حفيظة المرجعيّات الدّينيّة الإسلاميّة والمسيحيّة، وزاد الأمر تعقيدًا إقدامُ مجلس الوزراء في تاريخ 26/ 3/ 1997م على اتّخاذ قرار مفاجئ بجعل التّعليم الدّينيّ اختياريًّا في ما بعد الظّهر من يومي العطلة (عماد، 2009، صفحة 146)؛ أي الجمعة والأحد؛ وقد أدّى هذا القرار إلى ردود فعل شاجبة في أوساط الطّوائف الدّينيّة، لاعتقادهم أنّ هذا القرار يؤدّي إلى تهميش التّعليم الدّينيّ وإلغائه تدريجيًّا؛ الأمر الذي يتعارض ومرتكزات خطّة النّهوض التّربويّة؛ ما يعني أنّه لا يتقيّد بمضمون وثيقة الوفاق الوطني.

تجدر الإشارة إلى أنَّ هذا القرار يقتصر عمليًّا على المدارس الرّسميّة من دون المساس بالمدارس الخاصّة التي كفل الدّستور اللّبنانيّ حرّيّتها وحقّها في اختيار المناهج التّعليميّة؛ ما لم تتعارض والرّؤية التّربويّة للدّولة، وهذا ما ينعكس سلبًا على طلّاب المدارس الرّسميّة، إذ إنّه يُفقدهم عاملًا مهمًّا وأساسيًّا في بِنياتهم الشّخصيّة، وتحقيق هويّتهم في إطار الجماعة، كذلك هو يخلق تباينًا على المستوى الثّقافيّ والعقائديّ بين طلاب المدارس الرّسميّة والخاصّة.

إذًا، نتيجةً للمعارضة الشّديدة التي لاقاها هذا القرار في أوساط الطّوائف الدّينيّة، اضطرّ مجلس الوزراء، في تاريخ 10 تشرين الثّاني 1999م، إلى العودة عن قراره من خلال تخصيص حصّة دراسيّة كاملة أسبوعيًّا للتّربية الدّينيّة في مراحل التّعليم العام ما قبل الجامعيّ، وقد عمدت وزارة التّربية آنذاك إلى حصر تعيين أساتذة التّربية الدّينيّة بمجالس الأوقاف، وذلك نتيجة التّفلت الذي بدأ بالظّهور، حين باشرت بعض الأحزاب والجهات الدّينيّة بتعيين أساتذة في المدارس الرّسميّة لتعليم الدّين، بحجّة عجز دوائر الأوقاف عن القيام بمهامها ومسؤوليّاتها؛ فشكّلت تلك الظّاهرة مؤشّرًا خطيرًا لخروج التّعليم الدّينيّ عن مساراته العلميّة، ليتحوّل إلى تعليم دينيّ ذي وظيفة سياسيّة وأيديولوجيّة خفيّة.

2. التّعليم الدّينيّ في المدارس اللّبنانيّة

التّعليم في لبنان، منذ ظهور دولة لبنان الكبير، عُرِف بمسارَيْه الخاصّ والرّسميّ، وداخل التّعليم الخاصّ ثمّة ازداوجيّة دائمة، أيضًا، تبلورت بصفة مدارس دينيّة ومدارس علمانيّة؛ لكنّ التّعليم الدّينيّ غزا أغلب هذه المؤسّسات، إن لم نقل كلّها، بسبب الثّقل الوازن للأحزاب ذات الطّابع الدّينيّ في لبنان، وما لهذه الأحزاب من دور وازن في السّاحتين المذهبيّة والوطنيّة، بالإضافة إلى الدّور الكبير للمؤسّسات الرّوحيّة في السّاحة عمومًا.

1.2. التّعليم الدّينيّ في المدارس الإسلاميّة

سعت الطّوائف الإسلاميّة إلى إنشاء مؤسّساتها التّعليميّة الخاصّة، أسوةً بالطّوائف المسيحيّة التي كانت سبّاقةً في تأسيس مجموعة من المدارس المسيحيّة المحلّيّة والأجنبيّة بدعم من حكومة الانتداب، إضافةً إلى الإرساليّات التّبشيريّة التي قدِمت إلى لبنان، وذلك بعد اعتماد المسلمين لسنوات طويلة على بعض المدارس الرّسميّة الموجودة في مناطق انتشارهم الجغرافيّ، والتي كانت تدرّس العلوم الدّينيّة.

سعت كلّ طائفة إسلاميّة، بعد ذلك، إلى تأسيس مدارسها في المحيط الدّيموغرافيّ الأكثر كثافةً بالمنتمين إلى هذه الطّائفة أو تلك، فعلى مستوى الطّائفة السّنيّة، كانت البداية في مدينتي بيروت وطرابلس؛ حيث أُسّست مجموعة من المدارس الإسلاميّة، على غرار «مدرسة جامع الأمير منذر» في العام 1860م، و«المدرسة القادريّة» و«روضة المدارس» في العام 1871م. كما أُسِّست في بيروت مجموعة من المدارس، مثل «مدرسة الشّيخ عبد الباسط الأنسي» في العام 1875م، وصولًا إلى تأسيس «جمعيّة المقاصد الخيريّة الإسلاميّة» في العام 1878م. من ثمّ برزت «مدارس الإيمان» و«مدارس الثّقافة الإسلاميّة» التّابعة للجماعة الإسلاميّة في لبنان، ومدارس «جمعيّة مكارم الأخلاق الإسلاميّة»، و«مدارس البيادر» و«جمعيّة الفتوّة» و«جمعيّة الإصلاح والجنان». أمّا في ما يتعلّق بطائفة الموحّدين الدّروز، فقد ظهرت «مدارس العرفان» مثل مدرسة خاصّة بالتّلامذة الدّروز، إذ تشدّدت في تعليم القيم الإنسانيّة بأشكالها وأبعادها المختلفة (عماد، 2009، صفحة 55).

في المقابل، وفي ما يخصّ الطّائفة الشّيعيّة، وبعد أن كان التّعليم الدّينيّ يقتصر على الحوزات الدّينيّة المنتشرة في بعض قرى جبل عامل، ظهرت في بداية القرن العشرين أولى المدارس الخاصّة بالطّائفة الشّيعيّة، وهي «مدارس العامليّة» التّابعة للجمعيّة الخيريّة الإسلاميّة العامليّة، والتي أُسِّست في العام 1923م، في أماكن انتشار الشيّعة في لبنان (غروي، 2004، صفحة 79). تلاها في الرّبع الأخير منه ظهور عدد كبير من نظيراتها، مثل «مدارس المصطفى» التّابعة لـ«جمعيّة التّعليم الدّينيّ الإسلاميّ»، و«مدارس المبرّات الخيريّة» و«مدارس مؤسّسات أمل التّربويّة»، و«مدارس المؤسّسة الإسلاميّة للتّربية والتّعليم «مدارس المهدي»» و«مدارس الإمداد الخيريّة»؛ فشكّلت بذلك منافسًا تربويًّا قويًّا في السّاحة اللّبنانيّة، واستقطبت أعدادًا كبيرة من التّلامذة الشّيعة على وجه الخصوص.

خلاصة القول، إنَّ الطّوائف الإسلاميّة باختلافها، أولت التّعليم الدّينيّ عناية خاصّة عبر تعزيز موقعه في العمليّة التّربويّة والتّعليميّة، وهذا ما أكّده المشرفون والمنسّقون للمواد الدّينيّة في المدارس الأربعة المعتمدة في الدّراسة البحثيّة، وذلك بعد تأكيدهم ارتباط التّعليم الدّينيّ بالمدرسة بوصفه ركنًا أساسيًّا في عمليّة التّنشئة السّليمة للطّالب بمجالاته السّلوكيّة والاجتماعيّة والرّوحيّة والتّربويّة.

2.2. التّعليم الدّينيّ في المدارس المسيحيّة

يملك التّعليم الدّينيّ المسيحيّ الحقل الأشدّ عراقةً وعمقًا في بنية القطاع التّربويّ والتّعليميّ في لبنان، وقد ترافق وجوده مع الانتشار الدّيموغرافيّ للمسيحيّين في الشّرق؛ لذلك، يجب الأخذ بالحسبان العلاقة الوثيقة التي جمعت الطّائفة المارونيّة بالدّول الغربيّة، والتي تعدّت أبعادها الجانب السّياسيّ وصولًا إلى الجوانب الثّقافيّة والفكريّة والاقتصاديّة والتّربويّة، أيضًا، انتشرت المدارس الأجنبيّة والإرساليّات في بيروت وجبل لبنان وتنوّعت هويّة داعميها ما بين الإرساليات الأمريكيّة، والإرساليّات الأوروبيّة وفي مقدّمتها الإرساليّات الفرنسيّة، من ثمّ الإنجليزيّة والألمانيّة والإيطاليّة، والتي أدّت بدورها إلى ظهور حركة ثقافيّة وتربويّة في بيروت وجبل لبنان، وكانت قاعدتها الأساسيّة المدارس الأهليّة المسيحيّة المرتبطة بالإرساليات الأجنبيّة.

في الجانب الآخر، فالمسار التّاريخي لظهور الإرساليّات الأجنبيّة في لبنان يعود إلى الاتّفاقيّة المبرمة بين الدّولة الفرنسيّة والدّولة العثمانيّة في العام 1535م، والتي كان هدفها الأساس حماية المسيحيّين الكاثوليكيّين في الشّرق؛ فسمحَت الدّولة العثمانيّة بموجبها للفرنسيّين تنفيذ نشاطات تعليميّة وتربويّة بوصفها وسيلة من وسائل التّبشير الدّينيّ، وقد جرى تجديد هذه الاتّفاقيّة في العامين 1673 و1780م.

لاحقًا، بعد انتقال معهد اللّاهوت الخاصّ بالآباء اليسوعيّين إلى بيروت في العام 1875م، والذي شكّل النّواة الأولى لجامعة القدّيس يوسف اليسوعيّة، شرعت الرّهبنات بإنشاء مجموعة من المدارس والمؤسّسات الخيريّة في بيروت وغيرها من القرى، مثل «راهبات النّاصرة» و«راهبات العائلة المقّدسة»، و«راهبات الرّاعي الصّالح» و«راهبات المريميّات الوطنيّة»، والتي أُسِّست في بكفيّا في العام 1883م، إذ تحوّلت جميعها إلى مؤسّسات تربويّة.

كذلك الأمر في ما يخصّ الإرساليّات الإنجليزيّة، ففي العام 1860م أَسَّستْ مجموعةً من المدارس التّابعة لها في بيروت وزحلة وبعلبك وحاصبيّا وصيدا، في حين أنّ الإرساليّات الإنجيليّة الأمريكيّة أنشات أوّل مدرسة في بيروت في العام 1834م، من ثمّ أَسّست الحركةُ التّربويّة الإنجيليّة مجموعةً من المدارس عُرِفت بـ«المدارس اللّبنانيّة»؛ حيث ضمّت تلامذة من مختلف الطّوائف لاسيّما الرّوم الأرثوذوكس والدّروز، إضافة إلى التّلامذة الكاثوليكيّين؛ كما عملت على إنشاء المطابع ونشر الكتب والمجلّات، وتوّجَتْ عملها بتأسيس «الكليّة السّوريّة الإنجيليّة» في العام 1866م (عماد، 2009، صفحة 89)، والتي عُرفت لاحقًا بـ«الجامعة الأمريكيّة في بيروت». وتجدر الإشارة إلى أنَّ هذه الحركات التبشيريّة التي اهتمّت بالتّعليم الدّينيّ إلى جانب بقيّة العلوم، كان هدفها الأسمى تحسين وجود المسيحيّين في الشّرق وتأهيل أبنائها فكريًّا وثقافيًّا، بهدف الانخراط في بنية النّظام الرّأسماليّ المستَحدث.

أمَّا في ما يتعلّق بالمدارس الأهليّة المسيحيّة فأسهمت في دعمها وتطويرها مدارس الإرساليّات الأجنبيّة، مثل «مدرسة الحكمة» التي أسّسها المطران الدّبس في العام 1874م،

و«مدرسة الرّاهبات المريميّات» في بكفيّا في العام 1853م برعاية الأب يوسف الجميّل والأب ريمون إستيف، وتلتها «مدرسة رهبنة فتيان القلب الأقدس» في زحلة في العام 1857م برعاية الأب بول ريغدون (حتّي، 1950، صفحة 43)؛ من ثم بدأت المؤسّسات التّربويّة بالتّوسّع في مختلف مناطق انتشار المسيحيّين في لبنان. ومن المفيد ذكره أنّ المدرسة الوطنيّة الوحيدة غير المرتبطة بالإرساليّات التّبشيريّة الأجنبيّة أسّسها المعلّم بطرس البستاني في بيروت في العام 1863م، وأطلق عليها اسم «المدرسة الوطنيّة»، وكان توجّهها عامًا وغير ملزِم باتّباع دين معيّن؛ لكنّ هذا لم يمنع من أن تخصّص المدرسة في برنامجها حصصًا للتّعليم الدّينيّ المسيحيّ (حوراني، 1977، صفحة 317).

وفي ما يرتبط بالتّعليم الدّينيّ في هذه المدارس، فقد أخذت الرّهبنات والأبرشيّات على عاتقها مسؤوليّة التّوجيه الدّينيّ؛ فخصّصت في برنامجها التّعليمي حصّة أسبوعيّة للتّربية الدّينيّة، بالإضافة إلى الصّلوات والقداديس التي تنظّمها المدارس في المناسبات الدّينيّة المتنوّعة، وفي كل صباح تبدأ الدّراسة فيها بتلاوة بعض آيات الإنجيل.

3.2. التّعليم الدّينيّ في المدارس الرّسميّة

أوكلت مهمّة متابعة التّعليم الدّينيّ في المدارس الرّسميّة إلى المرجعيّات الدّينيّة التي ينتسب إليها غالبيّة الطّلّاب في كلّ مدرسة (عماد، 2009، صفحة 117)؛ ففي حال كانت الأغلبيّة شيعيّة، تتولّى لجنة التّعليم الدّينيّ التّابعة إلى المجلس الإسلاميّ الشّيعيّ الأعلى متابعة التّعليم الدّينيّ فيها، أمّا في حال وجود أغلبيّة سنّيّة فتتولّى مديريّة الأوقاف الإسلاميّة هذه المسؤوليّة، وحتّى في المدارس الرّسميّة ذات الأغلبيّة الدّرزيّة، والتي كانت في الأمس القريب من دون تعليم دينيّ باعتقاد أنّ الطّائفة الدرزيّة لا تُعلّم الدّين للمراحل العمريّة الصغيرة؛ لكن هذا الأمر تبدّل في السّنوات القليلة الماضية، وهذا ما أكّده مشرف التّعليم الدّينيّ في مدارس العرفان الشّيخ «سلمان شيّا» في المقابلة الخاصة بالباحث التي أُجرِيت معه، إذ لفت في سياق حديثه إلى «أنّنا في المجلس المذهبيّ لطائفة الموحّدين الدّروز قد أنجزنا ما نسمّيه لجنة الإرشاد والتّوجيه الدّينيّ الخاصّ بالمدارس

الرّسميّة الموجودة في نطاقنا الدّيموغرافيّ، والتي تستهدف المدارس الرّسميّة تحديدًا؛ حيث نمدّهم بالمعلّمين والمناهج بعد موافقة مدير المدرسة».

من جانب آخر، توزّعت المدارس الرّسميّة التي ينتسب إليها غالبيّة الطّلاب من الطوائف المسيحيّة بين طائفتي الكاثوليك والأرثوذكس، فيقع على عاتق المرجعيّة الدّينيّة المشرفة على التّعليم الدّينيّ في المدرسة الرّسميّة مهمّة تأمين المعلّمين والأساتذة المتخصّصين في التّعليم الدّينيّ؛ بالإضافة إلى وضع منهج كامل لمادّة التّربية الدّينيّة لجميع المراحل التّعليميّة فيها، واعتماد الكتب المتوافقة واتّجاهاتها الدّينيّة؛ لذلك، فإنّ تنظيم التّعليم الدّينيّ في المدارس الرّسميّة يتبع للطّوائف التي تهتمّ به من دون أيّ تدخّل أو إشراف لوزارة التّربية، وهذا ما أكّدته المقابلات التي أجراها الباحث مع المنسّقين والمشرفين للتّربية الدّينيّة في المدارس ذات الخلفيّة المذهبيّة التي اعتُمدت في الدراسة.

3. محتوى الكتب الدّينيّة

أُجرِيَت العديد من الدّراسات التي حلّلتْ المعطيات الموجودة في الكتب المعتمدة للتّعليم الدّينيّ، فقد أجرى «هلال علويّة» في العام 1998م، دراسة حول مضمون كتب التّعليم الدّينيّ للمرحلة المتوسّطة في المدارس ذات الخلفيّة الطّائفيّة، وتوصّل إلى نتيجة مفادها أنَّ السّلاسل الأربعة التي قاربها تُظهر بوضوح تركيزها على صورة الذّات، بما يؤسّس لوعي التّلميذ وإدراكه لنفسه أو للدّين الذي ينتمي إليه. وقد جاءت لتؤكّد أنّ مادّة التّعليم الدّينيّ في هذه السّلاسل تعبّر عن الهويّة الذّاتيّة للطّوائف؛ أي أنَّها تعكس حقيقة الأديان والمذاهب، وهذا الأمر ينسجم والغاية التي حدّدها مُعِدّوها في مقدّمة كلٍّ منها، والتي تؤكّد بناء شخصيّة تلميذ مؤمن وملتزم بعقيدته.

إضافة إلى ذلك، لاحظ » علويّة» غياب أيّ عوامل أو عناصر تؤدّي إلى إثارة النّعرات المذهبيّة والطّائفيّة في مادّة التّعليم الدّينيّ؛ بل من الممكن أن تجد لها موطىء قدم في العديد من البرامج والمناهج بطرائق غير مباشرة مثل المواد الأدبيّة؛ كما أن محرّك

هذه النّعرات لا يكمن في المواد؛ بل في المجتمع بمؤسّساته المختلفة، ثمّ أشار إلى غياب صورة الآخر المختلف دينيًّا وعمليًّا في الكتب الدّينيّة، والاكتفاء ببعض الإشارات البعيدة من إثارة عناصر الاختلافات الدّينيّة بين الطّوائف والمذاهب. وكان من اللّافت، أيضًا، غياب صورة الوطن كلّيًّا، فلا وجود لأيّ مؤشّر يرتبط بمكوّنات النّسيج الاجتماعيّ اللّبنانيّ والتّعدّد والتّنوّع الطّائفي فيه. (علويّة، 1998، صفحة 100).

كذلك أجرى الدّكتور «شربل أنطون» دراسة تحليليّة لـ (77) كتابًا من كتب التّعليم الدّينيّ المدرسيّ، وخلُص إلى تحديد أربع عناصر لم يخلُ منها كتاب، مع التّفاوت في نسب وجودها بين هذا الكتاب وذاك، وهي:

- **التّركيز على الذّات الدّينيّة كثيرًا**: لأنّ هدف الكتب تعليم دين محدّد لأناس يعتنقونه مبدئيًّا؛ لكن بعض هذه الكتب وقعت في نوع من الكيانيّة المغلقة التي لا تتّسع للآخر المختلف دينيًّا، وجعلت «الأنا» مستوعَبًا يتّسع لكلّ الصّفات الجميلة.
- **التّركيز على الأخلاقيّات**: وهي من خلال تركيزها على إكساب التّلاميذ أخلاقيّات ومفاهيم حياتيّة، أسبغتها أصولًا دينيّة، مشدِّدةً على أنّ التّقيد بها جزء لا يتجزّأ من الدّين.
- **تعليم العقيدة الدّينيّة**: بعض هذه الكتب أفرط في العقائديّة؛ أي في تركيزه على تعليم التّلاميذ العقيدة الدّينيّة كاملة، إذ أصبح الدّين عقيدة جامدة، تتأكّد خصوصيّتها ونهائيّتها في تعارضها المطلق وأيّ عقيدة أخرى.
- **التّعليم التّلقينيّ**: وهو ما تشترك معظم الكتب في اعتماده، فالدّين مجموعة عقائد ومبادئ ليحفظها التّلميذ غيبًا، مع بعض التّمارين والأعمال البسيطة لتأكيد ذلك الحفظ. (عماد، 2009، صفحة 138)

تبعًا لنتائج تلك الدّراسات، يمكن القول إنّ التّعليم الدّينيّ في لبنان يؤدّي إلى ترسيخ العقائد الدّينيّة، بالإضافة إلى تلقين الطّلّاب الكيفيّة العمليّة لممارسة طقوسهم الدّينيّة، وهذا يتقاطع بشكل كامل وأهداف التّعليم الدّينيّ بحسب كلّ طائفة.

الجدول الرّقم (1)

توزّع الطّلّاب بحسب طوائفهم تبعًا لآرائهم حول المختلف عنهم دينيًّا.

الطّائفة	إسهام الدّروس الموجودة في كتاب التّربية الدّينيّة في تحسين نظرة الطّلّاب تجاه الآخر المختلف عنهم دينيًّا		المجموع
	نعم	كلا	
شيعي	34	10	**44**
	77.3%	22.7%	**100.0%**
سني	29	10	**39**
	74.4%	25.6%	**100.0%**
درزي	22	9	**31**
	71.0%	29.0%	**100.0%**
ماروني	26	1	**27**
	96.3%	3.7%	**100.0%**
روم أرثوذوكس	1	1	**2**
	50.0%	50.0%	**100.0%**
روم كاثوليك	8	2	**10**
	80.0%	20.0%	**100.0%**
سريان أرثوذوكس	1	0	**1**
	100.0%	0.0%	**100.0%**
المجموع	**121**	**33**	**154**
	78.6%	**21.4%**	**100.0%**

يظهر الجدول الرّقم (1) أنَّ الغالبيّة العظمى من الطلّاب باختلاف طائفتهم، يُقرّون بإسهام الدّروس الدّينيّة في المدرسة في تحسين نظرتهم تجاه الآخر المختلف عنهم دينيًّا، إذ بلغت نسبتهم (78.6%)؛ أي (77.3%) من الشّيعة و(74.4%) من السّنّة و(71%) من الدّروز و(96.3%) من الموارنة و(50%) من روم الأرثوذوكس و(80%) من روم الكاثوليك.

أمَّا بقيّة الطلّاب الذين أقرّوا بعدم إسهام الدّروس الدّينيّة في تحسين نظرتهم تجاه الآخر المختلف عنهم دينيًا فقد بلغت نسبتهم (21.4%)؛ أي (22.7%) من الشّيعة و(25.6%) من السّنة و(29%) من الدّروز و(3.7%) من الموارنة و(50%) من روم الأرثوذوكس و(20%) من روم الكاثوليك.

قد يعود السّبب في تشكيل الرّأي الأوّل إلى الآليّة المعتمدة في التّعليم الدّينيّ في المدارس، وذلك من خلال تسليط الضّوء على القيم الدّينيّة، بما فيها من معطيات خلقيّة وروحيّة تشكّل الضّمان للوحدة والعيش المشترك، ومن دون الدّخول في خصوصيّة الأديان الأخرى، أو التعرّض للنّقاط الخلافيّة بينها، وهذا يتقاطع وما أكّده المشرفون على منهج التّعليم الدّينيّ في المدارس الأربعة. إلى جانب ذلك، ثمّة دور للمعلّم داخل الصّفّ، إذ يشدّد في مقاربة العلاقة مع الآخر من منظور وطنيّ جامع، وانطلاقًا من روحيّة القيم الدّينيّة الجامعة؛ هذا ما أكّده، أيضًا، المشرفون الدّينيّون في المقابلات الخاصة التي أُجرِيَت معهم.

أمَّا بخصوص الرّأي الثّاني، فقد يعود السّبب في ذلك إلى لحظ وجود عدد قليل من أولئك الطّلّاب بامتلاكهم نظرة سلبيّة تجاه المختلفين عنهم دينيًا، ومن الممكن أن يكونوا قد اكتسبوها من خلال التّنشئة الأُسريّة المتطرّفة، أو من محيطهم الاجتماعيّ التّفاعليّ، وهذا ما أشاروا إليه في استماراتهم بعد الإدلاء بآرائهم، وذلك بعد سؤالنا لهم (حدّد)، فكانت إجاباتهم متنوّعة وتحمل الدّلالة والمضمون لما هو وارد في سياق التّحليل.

4. ملامح الكتاب الدّينيّ الموحّد

يرى مؤيّدو التّعليم الدّينيّ[1]، أنّ فكرة توحيد الكتاب الدّينيّ المدرسيّ بين جميع المذاهب والطّوائف هو ضرب من الخيال؛ بل يشدّدون، أيضًا، على البُعد الإيجابيّ للتّربية الدّينيّة البعيدة من الطّائفيّة، بترسيخها للانفتاح على الآخر عبر التّمسّك بالقيم الدّينيّة، وعلى رأسها التّقرّب من الله ومحبّة الإنسان لأخيه الإنسان.

يجدر بالذّكر أنّه في تاريخ 6/ 12/ 1999م، صدر عن مجلس الوزراء المرسوم الرّقم **(1847)**، القاضي بإعادة التّعليم الدّينيّ إلى مناهج التّعليم العام في المدارس الرّسميّة، وعلى أثر ذلك، شكّل المركز التّربويّ للبحوث والإنماء لجنة تربويّة خاصّة تضمّ ممثّلين عن المرجعيّات الدّينيّة؛ إلّا أنّها لم تستطع الاتّفاق حول تكوين كتاب موحّد للتّعليم الدّينيّ للطّوائف والمذاهب كافّة، وبناء على توصيات اجتماع المرجعيّات الدّينيّة في لبنان، في تاريخ 17/ 8/ 2000م، قرّر مجلس الوزراء وضع كتاب دينيّ موحّد للمسيحيّين وآخر موحّد للمسلمين للمراحل التّعليميّة كافّة، تحت شرط أن يتضمّن كلّ كتاب قسمًا يعرّف بالدّين الآخر. ونتيجة الاختلاف في وجهات النّظر داخل اللّجنة المعنيّة بوضع هذه الكتب، فشل هذا الأمر أيضًا (فريحة، 2003، صفحة 46)؛ لذلك، بقيت المدارس الرّسميّة على حالها لجهة ارتباطها بالمرجعيّة الدّينيّة التي ينتسب إليها غالبيّة التّلامذة.

5. التّطرّف المذهبيّ في لبنان

يتميّز لبنان بالتّعدّدية الدّينيّة والمذهبيّة، الأمر الذي جعله بلدًا فريدًا في منطقة الشّرق الأوسط؛ فالمادّة التّاسعة من الدّستور اللّبناني تضمن للمواطنين حريّة الاعتقاد المطلقة وإقامة الشّعائر الدّينيّة جميعها على ألّا يكون في ذلك إخلال في النّظام العام. وقد اعترفت الدّولة اللّبنانيّة رسميًّا بوجود **(18)** طائفة دينيّة؛ وهي تتنوّع ما بين الطوائف

(1) مجموعة من الشّخصيّات و النّخب الدّينيّة و المجتمعيّة (السّيد محمد حسين فضل الله، الشّيخ عبد الامير قبلان، الدّكتور جورج نخل، الشّيخ محمد رشيد قباني، الوزير عمر السّقلاوي، الوزير جون عبيد، المطران حبيب باشا، هيئة علماء بيروت...) (علويّة، 1998)

المسيحيّة (الموارنة، الكاثوليك، الأورثوذكس،...)، والطّوائف الإسلاميّة (السّنّة، الشّيعة، الدّروز،...)، بالإضافة إلى بعض الطّوائف الدّينيّة الصّغيرة غير المعترف بها رسميًّا مثل البهائيّة وشهود يهوى وغيرها.

لا ننسى في هذا الصّدد أنّ لبنان عانى بين العامين 1975 و1990م، حربًا أهليّة ذات طابع سياسيّ ومذهبيّ انعكست على الأفراد والجماعات باختلاف انتماءاتهم الحزبيّة والمذهبيّة. وبالرّغم من انتهاء الحرب بعد اتّفاق الطّائف في العام 1990م، ظلَّ المجتمع اللّبنانيّ منقسمًا سياسيًّا واجتماعيًّا، إلى جانب صراع طائفيّ يطفو بشكل بارز في الأزمات والانتكاسات التي تعرّض لها البلد منذ العام 2005م (اغتيال الرّئيس رفيق الحريري)[1]، وحتّى يومنا هذا.

بناء على ذلك؛ ولأنّ الطّائفيّة السّمة الأبرز التي تصبغ المجتمع اللّبنانيّ، وصفها سماحة السّيد المغيّب «موسى الصّدر» بالنّقمة، وذلك حين دعا إلى تعزيز قيم العيش المشترك؛ فكان شعاره الأعظم «التّعايش الإسلاميّ المسيحيّ ثروة يجب التّمسّك بها، والطّوائف في لبنان نعمة والطّائفيّة نقمة». ونحن نلاحظ في لبنان أنّ للطّائفيّة وجهَيْن لا ثالث لهما، الأوّل يظهر التّعصّب الدّينيّ الذي يتبلور في سلوك الأفراد والجماعات عبر علاقاتهم بالآخر المختلف دينيًّا، والثّاني ناتج عن النّظام السّياسي اللّبنانيّ الذي يُعبَّر عنه بمفهوم «الطّائفيّة السّياسيّة».

في السّياق نفسه، يظهر جليًّا التّعارض بين التّعاليم الدّينيّة والممارسات الطّائفيّة التي لا تتجانس من حيث الممارسة وتلك القيم المقدّسة، فثمّة مساحة شاسعة بين الدّين وما يدعو إليه في مقابل ممارسات الذين يتّبعونه ويؤمنون به، لذلك؛ الطّائفيّة هي سلوك صادر عن بعض المتديّنين الذين لا يفقهون حقيقة دينهم وتعاليمه، فاتّجهوا نحو العصبيّة وانتهجوا طريق الحقد والكراهيّة تبعًا لتفسيرهم النّصوص الدّينيّة بما يتناسب واتّجاهاتهم وسلوكهم، وهذا ما أعطاهم الشّرعيّة لما يعملون به فوقعوا بين فكّي الجهل والتّخلّف.

(1) في الرّابع عشر من شباط العام 2005، اغتيل رئيس وزراء لبنان رفيق الحريري؛ ما أدّى إلى استشهاده مع مجموعة من المواطنين، وتبع ذلك حال من الانقسام السّياسيّ الحادّ في لبنان لا تزال تبعاتها مستمرّة حتّى يومنا هذا.

الجدول الرّقم (2)

توزّع الطّلّاب بحسب طوائفهم
تبعًا لآرائهم حول اعتبار دينهم أفضل من الأديان الباقية

الطّائفة	آراء الطلاب حول تفضيلهم لدينهم على الاديان الاخرى		المجموع
	نعم	كلا	
شيعي	42	3	**45**
	93.3%	6.7%	**100.0%**
سني	36	3	**39**
	92.3%	7.7%	**100.0%**
درزي	11	19	**30**
	36.7%	63.3%	**100.0%**
ماروني	21	8	**29**
	72.4%	27.6%	**100.0%**
روم ارثوذوكس	1	1	**2**
	50.0%	50.0%	**100.0%**
روم كاثوليك	7	3	**10**
	70.0%	30.0%	**100.0%**
السريان ارثوذوكس	1	0	**1**
	100.0%	0.0%	**100.0%**
المجموع	**119**	**37**	**156**
	76.3%	**23.7%**	**100.0%**

يُظهر الجدول الرّقم **(2)** أنّ **(76.3%)** من الطلّاب باختلاف طوائفهم يقرّون بأنَّ دينهم هو الأفضل مقارنةً بباقي الأديان، وقد توزّعت هذه النّسبة على الشّكل الآتي:

(93.3%) من الشّيعة، (92.3%) من السّنّة، (72.4%) من الموارنة، (70%) من روم الكاثوليك، (36.7%) من الدّروز. كذلك أقرَّ (23.7%) من الطّلّاب باختلاف طوائفهم ومذاهبهم باستبعاد الأفضليّة لِدِينهم على حساب الأديان الأخرى، إذ برزت نسبة (63.3%) عند الطّلّاب الدّروز نسبة وحيدة مرتفعة، وقد يكون السّبب في ذلك اقتصار التّعليم الدّينيّ لديهم على الجانب الأخلاقيّ والقيميّ للطّلّاب، من دون الدّخول في صلب العقيدة الدّينيّة، وهذا ما أكَّده المشرف الدّينيّ في ثانويّة العرفان الشّيخ سلمان شيَّا، وهم يعتمدون استراتيجيّة قيميّة تكامليّة جامعة في التّوجيه الدّينيّ للطلّاب، والذي يَقيهم الجنوح نحو التّطرّف لأفكارهم بطريقة غير عقلانيّة؛ لأنّ جوهر التّديّن هو الاتّحاد لا التّفرقة، وهذه القيم التّكامليّة تجتمع حولها الأديان السّماويّة كلّها.

وإذا ما عدنا إلى الطّلّاب الذين فضّلوا دينهم على الأديان الأخرى بنسبة مرتفعة بلغت (76.3%)، فإننا نجد، تبعًا لآرائهم الواردة في خانة (اذكر لماذا)، أنّ السّبب قد يكون في القناعة المترسّخة لديهم بفِعل التّنشئة الأُسريّة والمجتمعيّة، والتي تعطي الأفضليّة لِدِينهم مقارنةً بالأديان الأخرى لناحية الحقائق المطلقة والتّكامل والشّموليّة لمجالات الحياة كافّة. وهناك، أيضًا، فرصة وقدرة للمعلّم بتعزيز هذه المفاهيم المتطرّفة لدى الطّلّاب، لا سيَّما عبر مقارنة الخصائص الدّينيّة التي يسعى إلى ترسيخها لدى طلّابه مع خصوصيّات الأديان الأخرى؛ فيحاول أن يثني على صوابيّة دينه، وبالنّتيجة يعطي الأفضليّة لمعتقداته على حساب الأديان الأخرى؛ ما يؤثّر سلبًا على الخلفيّة الفكريّة والثّقافيّة للطلّاب؛ وهذا ما ظهر بشكل بارز في استماراتهم، إذ نجد لدى الطّلّاب المسلمين (السّنّة والشّيعة) رفضًا قاطعًا للمعتقدات المسيحيّة، لاسيَّما في ما يرتبط بقصّة يسوع المسيح من وجهة نظر المسيحيّين.

كما نجد، أيضًا، لدى الطّلّاب المسيحيّين بعض الاتّجاهات السّلبيّة تجاه الدّين الإسلاميّ، كونه ذا عقيدة متطرّفة تدعو إلى القتل وتعدّد الزّوجات وارتفاع مستوى التّعصّب والتّشدّد فيه، وهذا ما ظهر جليًّا في إجاباتهم المفسّرة لتفضيلهم لدينهم على

الأديان الأخرى. وهنا أيضًا يؤدّي معلّم التّربية الدّينيّة المنفتح الحامل لقيم التسامح وتقبّل الآخر دورًا أساسيًّا في تعديل تلك الصّور النّمطيّة لدى الطلّاب تجاه الأديان الأخرى باختلافها.

6. مخرجات التّعليم الدّينيّ

تبعًا للأهداف التّربويّة والتّعليميّة والسّلوكيّة المرتبطة بالتّعليم الدّينيّ، وفي ظلّ النّماذج المتعدّدة للتّنشئة الدّينيّة في لبنان؛ ولأنّ التّعليم الدّينيّ لا يعبّر عن مخرجاته الفعليّة إلاّ في سياق ما يحدث على أرض الواقع، فمن الضّروريّ رصد المؤشّرات النّاتجة عنه، لا سيّما في تأثيرها في الطّلّاب وفي المجتمع.

لا مناص من القول إنّ هويّة المدرسة تؤثّر مباشرة في تحقيق التّعليم الدّينيّ لأهدافه المعرفيّة؛ خاصّة في المدارس ذات الخلفيّة الدّينيّة، كونها ترتكز على مجموعة منطوقات وأهداف إجرائيّة داخل الصّفوف التّعليميّة وخارجها، وصولًا إلى بناء الشّخصيّة النّاضجة والواعية المُثقلة بالفضائل والأخلاق السّامية والمتكاملة مع المعطيات الروحيّة.

هذا بالإضافة إلى ضبط السّلوك الإنسانيّ في كلّ عمل يقوم به الطّالب، وذلك عبر ربطه بمفهوم الرّقابة الدّائمة للإله، من ثمّ الرّقابة المجتمعيّة بأشكالها المتعدّدة. كما يحقّق التّعليم الدّينيّ مخرجات مجتمعيّة سلوكيّة، تسهم في تعزيز الوحدة الوطنيّة والارتقاء بقيم العيش المشترك، وذلك من خلال قِيَمه وشرائعه الإنسانيّة الضّامنة للاستقرار وتقبّل الآخر، إضافة إلى نبذ التّعصّب والتّطرّف الذي يؤدّي بدوره إلى تدمير الحضارة الإنسانيّة (المنى، 2012، صفحة 259).

الجدول الرقم (3)

توزّع الطلّاب بحسب طوائفهم
تبعًا لآرائهم حول إمكان الحدّ من التّطرّف المذهبيّ في لبنان

الطّائفة	إلغاء التّعليم الدّينيّ	توحيد التّعليم الدّينيّ في مادة مخصّصة لتاريخ الحضارات والأديان وآثارها	التّوجّه نحو العلمنة	قيام الدّولة المدنية
شيعي	5	11	4	1
	11.9%	26.2%	9.5%	2.4%
سني	3	8	3	1
	8.3%	22.2%	8.3%	2.8%
درزي	9	10	1	1
	32.1%	35.7%	3.6%	3.6%
ماروني	3	6	4	1
	12.0%	24.0%	16.0%	4.0%
روم أرثوذوكس	0	1	1	0
	0.0%	50.0%	50.0%	0.0%
روم كاثوليك	1	2	3	1
	11.1%	22.2%	33.3%	11.1%
السريان أرثوذوكس	0	0	0	0
	0.0%	0.0%	0.0%	0.0%
المجموع	**21**	**38**	**16**	**5**
	14.7%	**26.6%**	**11.2%**	**3.5%**

تعزيز الارتباط بين الجماعات وذلك عبر تشجيع الزواج بين المسلمين والمسيحيّين	إبراز مخاطر إثارة الفتنة بين النّاس وتطبيق القانون الصّارم على من يؤجّجون الخلافات بين الأفرقاء في الوطن	تعزيز دور الإعلام الوطنيّ في نشر قيم التّسامح والحوار والمحبّة	التّركيز على روحيّة الأديان السّماوية الدّاعية الى الارتقاء بالقيم الإنسانية	المجموع
1	18	2	0	**42**
2.4%	42.9%	4.8%	0.0%	**100.0%**
2	13	3	3	**36**
5.6%	36.1%	8.3%	8.3%	**100.0%**
0	4	3	0	**28**
0.0%	14.3%	10.7%	0.0%	**100.0%**
0	6	4	1	**25**
0.0%	24.0%	16.0%	4.0%	**100.0%**
0	0	0	0	**2**
0.0%	0.0%	0.0%	0.0%	**100.0%**
2	0	0	0	**9**
22.2%	0.0%	0.0%	0.0%	**100.0%**
1	0	0	0	**1**
100.0%	0.0%	0.0%	0.0%	**100.0%**
6	**41**	**12**	**4**	**143**
4.2%	**28.7%**	**8.4%**	**2.8%**	**100.0%**

يظهر الجدول الرّقم (3) مجموعة عبارات مقترحة للحدّ من التّطرّف المذهبيّ في لبنان، وبناء على نتائجه يمكن تحليل هذه العبارات تبعًا للإجابات الصّادرة عن الطلّاب باختلاف طوائفهم على الشّكل الآتي:

في ما يخصّ عبارة (إلغاء التّعليم الدّينيّ) فقد أفاد (14.7%) من الطلّاب باختلاف طوائفهم أنَّها تمثّل بالنّسبة إليهم الوسيلة الأمثل للحدّ من التّطرّف المذهبيّ في لبنان، وقد سجّلت النّسبة الأعلى للطّلّاب الدّروز بنسبة (32.1%). أمَّا عبارة (توحيد التّعليم الدّينيّ في مادّة مخصّصة لتاريخ الحضارات والأديان وآثارها)، فقد أفاد (26.6%) من الطلّاب باختلاف طوائفهم ومذاهبهم أنَّها تمثّل بالنّسبة إليهم الوسيلة الأنجح للحدّ من التّطرّف المذهبيّ في لبنان.

كما أبدى (11.2%) منهم أنَّ عبارة (التّوجّه نحو العلمنة) تمثّل بالنّسبة إليهم الحلّ الأنجع للحدّ من التّطرّف المذهبيّ في البلد، إذ لاحظنا أنَّ النسبة الأعلى سُجّلت لدى المسيحيّين، وفي ما يخصّ عبارة (إبراز مخاطر إثارة الفتنة بين النّاس وتطبيق القانون الصّارم على من يؤجّجون الخلافات بين الأفرقاء في الوطن) أعرب (28.7%) منهم أنَّها تمثّل بالنّسبة إليهم الوسيلة الأمثل للحدّ من التّطرّف المذهبيّ؛ فسُجِّلت النّسبة الأكبر عند الشّيعة بنسبة (42.9%).

كذلك أيّد (8.4%) من الطلّاب باختلاف طوائفهم أنّ تعزيز دور الإعلام في نشر قيم التّسامح والحوار والمحبّة يؤدّي إلى الحدّ من التّطرّف المذهبيّ، في مقابل العبارة المقترحة حول (قيام الدّولة المدنيّة وتعزيز الارتباط بين الجماعات وذلك عبر تشجيع الزّواج بين المسلمين والمسيحيّين، والتّركيز على روحيّة الأديان السماويّة الدّاعية إلى الارتقاء بالقيم الإنسانيّة)؛ فقد حصلت الأخيرة على نسب ضئيلة جدًّا، وذلك تبعًا لاختيارات الطلّاب لجهة كونها وسائل ناجحة للحدّ من التّطرّف المذهبيّ في لبنان.

وفقًا لما ظهر في الاستمارة أعلاه، يتبيّن لنا أنّ الاتّجاه الأكثر قوّة لدى الطلّاب؛

خاصةً الشّيعة منهم ثمّ السّنّة ثم الموارنة؛ هو في إبراز مخاطر إثارة الفتنة بين الجماعات، ودعوة أجهزة الدولة إلى الاقتصاص ممّن يؤجّجون الخلافات بين الأفرقاء في الوطن؛ لأنّ ما يجمع اللبنانيّين أكثر بكثير ممّا يفرّقهم، وبالنّتيجة من الضّروري العمل على تقصّي منابع الفتنة في الوطن وإسكاتها للحدّ من التّطرّف المذهبيّ.

برز اتّجاه آخر أشار اليه الطلّاب وهو توحيد مادّة التّعليم الدّينيّ، لتصبح مادّة واحدة تُدرّس في المدارس اللّبنانيّة، والجديد بالذكر أنّ هذا الطّرح ليس بجديد؛ فقد دعا الدّكتور «أديب صعب» في دراسته المرتبطة بالتّعليم الدّينيّ (صعب، 2003، صفحة 95)، إلى تغيير وجهة التّعليم الدّينيّ بتوحيده وتحويله إلى مادّة تقارب بين مختلف اللّبنانيّين. وأشار إلى كيفيّة عرض العقائد الدّينيّة عرضًا محايدًا، إضافة إلى متابعة نشأتها وتطوّرها عبر التاريخ، بهدف مساعدة الفرد في تكوين نظرة نقديّة عميقة ومنفتحة على دينه والأديان الأخرى؛ وبالإفادة من هذا الطّرح يمكن لمناهج التّعليم الدّينيّ المعدّلة أن تحدّ من التّطرّف المذهبيّ والفكري في لبنان، بعيدًا من فكرة إلغائه مطلقًا.

ما لاحظناه، أيضًا، ثمّة فئة اقترحت إلغاء التّعليم الدّينيّ للحدّ من التّطرّف المذهبيّ، وكان معظمهم من الدّروز، وقد يكون السّبب في ذلك التّركيز التّام على الجانب الأخلاقيّ القيميّ في التّوجيه الدّينيّ الذي تلقّوْه في مدرستهم بعيدًا من الدّخول في العقائد؛ الأمر الذي يتطابق والمعلومات التي أقرَّ بها المشرف الدّينيّ في ثانويّة العرفان الشّيخ سلمان شيّا.

أمَّا الطلّاب الذين فضّلوا قيام الدّولة المدنيّة والاتّجاه نحو العلمنة بصفة وسيلة للحدّ من التّطرّف المذهبيّ في لبنان، فقد يُعزى السّبب في ذلك إلى اعتقادهم بقدرة القوانين المدنيّة على منع ممارسة الشّعائر الدّينيّة في المدارس والأماكن العامّة[1]،

(1) خلال الاجتماع الدّوري لحركة التّجدّد التي أُسِّست بعد أحداث 17 تشرين الأول 2019، أقرّت الحركة الخطّة الإجرائيّة التي تمثّل خارطة طريق بالنّسبة إليها بعنوان» خريطة الطريق إلى الدّولة المدنيّة في لبنان»، والتي تتألّف من 80 بندًا، وقد أودعتها لدى كتلة النّواب التّغييريّين. ومن أهمّ النّقاط الواردة في الخطّة هي «منع ممارسة الشّعائر الدّينيّة في المدارس والأماكن العامّة، والعمل على تنقيح المنهج التّربويّ في لبنان وإزالة كلّ ما له صلة بالأديان و المذاهب».

هذا بالإضافة إلى استبدال مادّة جديدة تخصّ التّربية المدنيّة بمادّة التربية الدّينيّة، وقد غاب عن هؤلاء الطلّاب أنَّ لبنان يتشكّل من مجموعات طائفيّة ومذهبيّة.

الخاتمة

شكّل التّعليم الدّينيّ إشكاليّة تربويّة كبرى في لبنان، فهو ركن أساسيّ من أركان التّعليم العام؛ خاصّة أنّه يخضع لرعاية السّلطة الدّينيّة المحليّة في معظم الحقبات التي مرّت بلبنان. وقد وجدنا ذلك بدايةً عند المسيحيّين، حين كانت رغبة الدّول الغربيّة في إيجاد مواقع اجتماعيّة وثقافيّة وسياسيّة لها داخل المناطق التّابعة للإمبراطوريّة العثمانيّة واضحة؛ فترسّخت بدعمها لإنشاء المدارس الخاصّة لا سيّما عند الموارنة الذين رفضوا الدّراسة في المدرسة الرّسميّة التّابعة للسّلطة العثمانيّة آنذاك. إذًا، جرى ترسيخ دور الإرساليّات الأجنبيّة في التّعليم العام في لبنان، واستمرّ مع الانتداب الفرنسيّ على النّهج نفسه؛ ما يسهم في تعزيز الانتماء للطّوائف وتكريس المدرسة الخاصّة بأبعادها الطّائفيّة، والتي تشكّل إطارًا أيديولوجيًّا توجّه من خلاله أبناءَ الطّوائف.

وبعد أن نال لبنان استقلاله في العام 1943م، عملت الجهات الرّسميّة التّابعة للطّوائف على تكريس التّعليم الدّينيّ في المناهج التّعليميّة والتّربويّة اللّبنانيّة، وبرزت محاولات عدّة لإلغائه؛ لكنّها باءت بالفشل، واستمرّ التّعليم الدّينيّ في إطار المرجعيّات الدّينيّة الإسلاميّة والمسيحيّة، لاسيّما في المدارس الرّسميّة. وقد تقاسمت الطّوائف الكبرى تلك المدارس بحسب غالبيّة الطّلّاب المنتمين لهذه الطّائفة أو تلك، من دون أيّ تدخّل للدّولة اللّبنانيّة بأيّ أمر يرتبط بالتّعليم الدّينيّ.

لاحظنا، أيضًا، أنّ الطّائفة الدرزيّة التي كانت في الأمس القريب بعيدة من أيّ تعليم دينيّ، لا سيّما في المدارس الرّسميّة الكائنة في مناطق انتشارها الدّيموغرافي، قد وضعت مناهج تعليميّة خاصّة مرتبطة بأهداف وكفايات حدّدها المجلس الأعلى

للطّائفة الدّرزيّة في لبنان؛ فركّزت في مضامينها على القيم الأخلاقيّة والإنسانيّة المستوحاة من القرآن الكريم وسِيَر الأولياء الصّالحين؛ فعمّمت تلك الكتب على المدارس الخاصّة، بالإضافة إلى المدارس الرّسميّة الكائنة في مناطق نفوذهم.

لابدَّ من الإشارة أيضًا إلى أنّ مناهج التّعليم الدّينيّ المعتمدة في المدارس لا تخضع سنويًّا للتّدقيق والتّجديد، وهذا ما وجدناه في المدارس الأربعة المعتمدة في الدّراسة؛ بل اكتفَتْ بالأمور المستجدّة على السّاحة الاجتماعيّة والثّقافيّة في لبنان ومحيطه، لا سيَّما تلك المؤثّرة في سلوك الطّلاّب وإدخالها بشكل رديف ضمن الموضوعات المستهدفة للتّربية الدّينيّة.

تبدّى لنا، أيضًا، أنّ الأهداف العامّة للتّعليم الدّينيّ ارتكزت على مجموعة من القيم الإنسانيّة والأخلاقيّة والتّربويّة التي سعت إلى ارتقاء المجتمع بأفراده وجماعاته إلى أعلى درجات الكمال الإنسانيّ. ولأنَّ التّعليم الدّينيّ يُعدّ جزءًا من المكوّنات الأساسيّة للمنهاج التّعليمي في المدرسة، أسوةً ببقيّة المواد الدّراسيّة، فهو بحاجة إلى التّحديث والتّنقيح باستمرار لمواكبة التّطورات المستجدّة في السّاحة المجتمعيّة بأشكالها المختلفة؛ إضافةً إلى ضمان استمراريّته وتحقيق أهدافه المرجوّة.

إذًا، لمَّا كانت العمليّة التّعلّيميّة بمكوّناتها بحاجة إلى تضافر الجهود من أجل أن تؤتي أُكلها نجاحًا وتميّزًا وتقدّمًا، أصبح المعلّم قطب الرّحى وأحد الأركان الأساسيّة في العمليّة التّعليميّة؛ فهو صاحب رسالةٍ إنسانيّةٍ متعدّدة الأبعاد والاتّجاهات تربويًا وثقافيًّا وقيميًّا وسلوكيًّا وتكنولوجيًّا. وبوصفه حلقة الوصل بين المتعلّم ومحور العمليّة التّعليميّة والمنهج، فهو يسعى إلى استثمار كلّ ما لديه من إمكانات ووسائل وأساليب ومخزون معرفيّ غنيّ في سبيل بناء شخصيّات المتعلّمين في مختلف جوانبها العقليّة والاجتماعيّة والمهاريّة وحتّى الفيزيولوجيّة، مع الأخذ بالحسبان مختلف الأهداف التّربويّة والتّعليميّة والسلوكيّة، لا سيَّما تلك المرتبطة بالتربيّة الدّينيّة. ولا يخفى عليه أسلوب الحوار والنّقاش في صلب العمليّة التّعليميّة، في الصّفوف الدّراسيّة وخارجها؛

ذلك أنّه ينعكس إيجابًا في تنمية شخصيّة المتعلّمين معرفيًّا ومهاريًّا واجتماعيًّا؛ ما يؤدّي إلى اكتساب المتعلّمين مهارات التّفكير النّاقد، واتّساع رقعة معارفهم الدّينيّة كمًّا ونوعًا؛ أي في ما يرتبط بدينهم وبالأديان الأخرى، ويُسهم أخيرًا في نبذ التّطرّف الفكريّ والمذهبيّ وتعزيز قيم التّعايش وتقبّل الآخر.

هذا وقد شدّد المعلّمون والمنسّقون في مادّة التّربية الدّينيّة في المدارس الأربعة المعتمدة في الدّراسة على ربط مخرجات التّعليم الدّينيّ بالاستراتيجيّات المتّبعة لديهم؛ إذ إنّ أهميّة تلك الخطوات تكمن في تعزيز الجانب الرّوحيّ والأخلاقيّ والقيميّ والسّلوكيّ لدى المتعلّم، بالإضافة إلى انعكاسها إيجابًا على المجتمع من خلال تعزيز قيم العيش المشترك ونبذ التّطرّف والتّعصب فيه.

في الختام، وجدنا أنّ كتب التّربية الدّينيّة المعتمدة في المدارس الأربعة لا تكفي وحدها لتلافي التّطرّف الفكري والمذهبيّ المؤدّي للصّراع الطّائفيّ؛ بل أصبح ضروريًّا تعاضدها واستراتيجيّات التّربية في المدرسة والأسرة. هذا بالإضافة إلى الدّور الرّئيس الذي يتولّاه معلّم التربية الدّينيّة في غرس قيم الانفتاح والتّسامح بفضل طرائقه التّعليميّة في حصة التّربية الدّينيّة، والتي تُعنى بتشغيل التّفكير النّاقد البنّاء لديهم. ويظهر ذلك جليًّا في ما لو أهمل المعلّمون هذا الدّور، فمنهم من يتعمّد استعمال ألفاظ متطرّفة ومجحفة بحقّ الأديان والمذاهب الأخرى؛ ما يفضي نهايةً إلى اشتعال نزعة التّطرّف الفكريّ والمذهبيّ لدى الطّلاب وإيصالهم إلى ما لا تُحمَد عقباه.

المصادر والمراجع

1. أبي المنى، سامي. (2012). **التّثقيف الدّينيّ و التّربية على العيش المشترك**. جونية: مؤسّسة أديان.
2. إسماعيل، عادل. (1996). **الحوار مادّة الحياة في بناء لبنان الجديد/ الحوار والحياة المشتركة بين الطّوائف والأديان**. بيروت: مؤسّسة الحريري. (دراسات لبنانيّة 1).
3. حتّي، فيليب. (1950). **تاريخ لبنان و سوريا و فلسطين الجزء الأوّل و الثّاني**. بيروت: دار الثّقافة.
4. حوراني، ألبرت. (1977). **الفكر العربيّ في عصر النّهضة**. بيروت: دار النّهار.
5. خالدي، مصطفى؛ فرّوخ، عمر. (1975). **التّبشير والاستعمار في البلاد العربيّة**. بيروت: المكتبة العصريّة.
6. سارانتاكوس، سوتيريوس. (2017). **البحث الاجتماعيّ، ترجمة شحدة فارع**. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات.
7. صعب، أديب. (2003). **وحدة في التّنوّع، محاور وحوارات في الفكر الدّينيّ**. بيروت: دار النّهار.
8. الصّليبي، كمال. (1991). **تاريخ لبنان الحديث**. بيروت: دار النّهار للنّشر.
9. علويّة، هلال. (1998). **التّربية الدّينيّة من خلال مادّة التّعليم الدّينيّ في مدارس الطّوائف اللّبنانيّة**. بيروت: رسالة دبلوم.
10. العلي، غالب. (2019). **التّعليم الدّينيّ في لبنان من منظور العيش المشترك**. بيروت: دار البلاغة.
11. عماد، عبد الغني. (2009). **التّعليم الدّينيّ في لبنان (الإشكاليّات و المحدّدات)**. لبنان: دراسة جامعيّة أكاديميّة.
12. غروي، مهدي. (2004). **واقع التّعليم الدّينيّ لدى المسلمين الشّيعة في لبنان**.

بيروت: أطروحة دكتوراه، جامعة القدّيس يوسف.

13. فروخ، حسن. (1948). **النّهضة التّعليميّة اللّبنانيّة في مطلع القرن العشرين**. بيروت: محاضرات النّدوة اللّبنانيّة العدد 8ـ9.

14. فريحة، نمر. (2003). **المركز التّربويّ في 1017 يومًا**. بيروت: غير موجود.

15. قبيسي، حسان. (1999). **الدّولة و التّعليم االرّسميّ في لبنان**. بيروت: الهيئة اللّبنانيّة للعلوم التّربويّة، الكتاب السّنويّ الأوّل.

16. قسطنطين، نبيل. (2000). **مسار التّعليم الدّينيّ المدرسيّ في تاريخ لبنان**. بيروت: الجامعة الأميركيّة.

17. كوثراني، وجيه. (1989). **الفقيه و السّلطان**. بيروت: دار الرّاشد.

18. الهاشم، بسّام. (2023). **الطّوائفيّة والمواطنة في لبنان (الحاضر والمرتجى)**. بيروت: دار الفرابي.

الدّوريّات:

1. الرّبيعي، عمّار. (2014). **الانقسام الوطنيّ اللّبنانيّ في عهد الانتداب الفرنسيّ**. العراق، البصرة: دراسات تاريخيّة العدد 16.

المواقع الإلكترونيّة:

1- Etablissement(vision et message). (2023, 1 1). Retrieved from college des saints coeurs - ain najem : https://ainnajm.sscc.edu.lb/

2- Saint coeur, c. (2023, 1 1). *Présentation du Collège*. Retrieved from college des saint coeur ain najem: https://www.ainnajm.sscc.edu.lb/pages?id=11

3ـ الإيمان، مدرسة. (2023 ,1 1). من نحن؟ تم الاسترداد من .http://imansch net/ar/default.asp?MenuID=14

4ـ التعريف و الهدف. (1 1أ 2023). تم الاسترداد من مدارس المهدي: https://

www.almahdischools.edu.lb/index.php/%D8%AE%D8%B1%D9%8A

5ـ **الرؤية و الرسالة**. (2023 ,1 1). تم الاسترداد من مدارس الايمان: http:// imansch.net/ar/default.asp?MenuID=15

6ـ **الرؤية و الرسالة و القيم**. (2023 ,1 1). تم الاسترداد من مؤسسة العرفان التوحيدية: http://www.datatech.me/arabic/index.html#

7ـ المهدي، مدارس. (2023 ,1 1). **مدارسنا**. تم الاسترداد من https://www. almahdischools.edu.lb/

EUROPUB Publishing Company LTD, UK

CheckInCertificate

CERTIFICATE
OF ACHIEVEMENT

THIS CERTIFICATE IS PROUDLY PRESENTED TO

Sada Al - Oulum

(ISSN: 2959-9423)

has been successfully indexed in **EuroPub Database** in year **2024**, a prestigious repository of scientific literature and research. **"Sada Al - Oulum"** has met the rigorous standards and criteria set forth by EuroPub Database for inclusion in EuroPub database, demonstrating excellence in scholarly content, editorial quality, and relevance to the scientific community.

This indexing acknowledgment is a testament to the dedication and commitment of the editorial board, authors, and contributors of **"Sada Al - Oulum"** to advancing knowledge and innovation in ***Arts, humanities and social sciences.***

This certificate is issued under the cover of EuroPub Publishing Company, Ltd., UK.

Euro Code: 1655739804 **Issue on:** 2024-09-14 **Validity:** 1 Year

Please check it as online with Euro Code: https://cms.europub.co.uk/qr_check

VALID

SIGNATURE

Database: http://europub.co.uk/

INTERNATIONAL Scientific Indexing

Fresh Ideas for Growing your Citations

Certificate

This is to certify that **Sada Al-Oulum** is indexed in International Scientific Indexing (ISI). The Journal has Impact Factor Value of **0.623** based on International Citation Report (ICR) for the year **2023-2024** .
The URL for journal on our server is
https://isindexing.com/isi/journaldetails.php?id=23574

Editor ICR Team (ISI)

International Scientific Indexing (ISI)

موقع المجلة الإلكتروني: www.sadaloulum.com
البريد الإلكتروني: sadaloulum@gmail.com
الرقم التسلسلي المعياري الدولي لتعريف الدوريات الإلكترونية: ISSN 2959-9431